الفطرة والمعرفة الإلهية
Instinct and divine knowledge

أ.م.د.محمد حكمت عبد علي
.Prof. Dr. Mohammed Hikmat Abed Ali Assist

جامعة الإمام جعفر الصادق عليه السلام
Imam Jaafar Al-Sadiq University

الكلمات المفتاحية:
الفطرة، المعرفة الإلهية، الإحساس والخبرة،
الوحي السماوي، المعرفة المكتسبة

Key words:
Instinct، divine knowledge، sense and experience،
heavenly، evelation acquired knowledge

الملخص

تكمن أَهمية البحث في إثبات (الفطرة) بأَنها أحد مصادر المعرفة وبوساطتها يمكن الوصول الى معرفة خالق هَذا الوجود خلافاً لرؤية الماديين الذين برروا وجود الدين لأسباب منها الجهل، الخوف، العامل الاقتصادي، العامل الجنسي والحاجات الأخلاقية.

عني البحث بـ(الفطرة عند الانسان) وتعني (الخلقة)، وهي الصبغة التي خلق الله الناس عليها وهي الاسلام. كما عني بمسألة (الفطرة احد طرق المعرفة الالهية)، اذا عدد الباحث طرق المعرفة وهي كل من الحس والتجربة، العقل، الفطرة والوجدان، الكشف والشهود، الوحي السماوي تطرق البحث في هذا المطلب الى دور (الفطرة) في المعرفة واستعرض في هذا المجال ثلاث نظريات:

١- نظرية (افلاطون) الذي يذهب الى ان الحقائق تكون مخزونة في عقل الانسان قبل ولادته ويمكن تذكرها واسترجاعها عند اكتساب العلم والمعرفة.
٢- نظرية (فرويد) اذ يذهب الى ان (الفطرة) هي مجموعة الافكار والميولات المكبوتة في ضمير الانسان وليس هي معلومات متأصلة في ذاته.
٣- نظرية اصحاب الرؤية الكونية الالهية.. يعتقد اصحاب هذا النظرية ان هناك علاقة بين عالم الغيب وعالم المادة وعلية تكون قسم من هذا المعلومات (فطرية) والاخر مكتسب.

Abstract

The importance of the research lies in proving (instinct) that it is one of the sources of knowledge and through it is possible to reach the knowledge of the Creator of this existence، contrary to the vision of the materialists who justified the existence of religion for reasons including ignorance، fear، economic factor، sexual factor and moral needs.

The research meant by (the human nature)، which means (creation)، which is the characteristic that God created people with، which is Islam. As he was concerned with the issue of (instinct is one of the ways of divine knowledge)، if the researcher enumerates the ways of knowledge، which are each of sense and experience، reason، instinct and conscience، revelation and witnesses، heavenly revelation. The field has three theories:

1. The theory (Plato)، which holds that facts are stored in the mind of man before his birth and can be remembered and recalled when acquiring knowledge and knowledge.
2. (Freud's) theory، as he says that (instinct) is a group of thoughts and tendencies pent-up in the human conscience، and it is not information inherent in itself.
3. The theory of the people of the divine cosmic vision.. The owners of this theory believe that there is a relationship between the world of the unseen and the world of matter and that part of this information is (innate) and the other is acquired.

المقدمة

أنكر أصحاب الرؤية الكونية المادية الذين لا يؤمنون بالبعد الغيبي والمعنويات الروحية من علماء الاجتماع والنفس الماديين في الغرب والشرق وجود حقيقي للدين وعللوا وجود الدين والعقيدة عند الناس يرجع إلى أسباب عدة منها:

١- الجهل يقول أحد علماء الاجتماع (مع أن العلم والفن كشف الكثير من الأسباب الخفية إلا أن الكثير من هذه الأسباب ما تزال بعيدة من نطاق العلم وباقية في لفيف الاسرار، وضرورة التوصل إلى هذه الأسباب دعت إلى ظهور الدين)[1] أصحاب هذه النظرية يعتقدون أن جهل الإنسان بالأسباب لوجود الاشياء وعللها كان هو الدفع لتصوره وجود خالق لهذا الكون، وكلما زادت معرفةِ الإنسان بالأسباب قل اعتقاده بوجود هذا الخالق.

٢- الخوف: ذهب اصحاب هذه النظرية إلى أن عامل الخوف هو سبب الاعتقاد بوجود خالق لهذا العالم يقول راسل: أتصور أن مصدر الدين هو الخوف والرهبةِ قبل كل شيء، الخوف من الكوارث الطبيعيةِ والخوف من الحروب، والخوف من الأعمال غير اللائقةِ التي يرتكبها الإنسان أثناء غلبة الشهوات عليه[٢].

٣- العامل الاقتصادي: يعتقد اصحاب هذه النظريةِ إن القوة التي تحرك التاريخ هو شكل وسائل الانتاج وان الظواهر الاجتماعيةِ، سواء الثقافةِ أو العلميةِ، أو السياسيةِ، أو الفلسفيةِ، والدين هو وليد هذا العامل، ويقولون إن الطبقة الحاكمة في المجتمعات البشرية أوجدت الدين من أجل القضاء على مقاومة الشعوب وتخديرها ويستندون إلى قول (لينين) في كتابه (الاشتراكية والدين) والتي يقول فيها (الدين أفيون الشعوب).

٤- العامل الجنسي: إن صاحب هذه النظرية هو (فرويد) اذا يعتبر الدين وليداً للغريزة الجنسية[٣].

---

(1) علم الاجتماع عند ساموئيل كنيك، ساموئيل كنيك، ص٢٠٧.
(2) قصة الحضارة، ول ديورا نت، ج١ ص٨٩.
(3) فنصات القران، مكارم شيرازي ن ج٣، ص١٥٠.

٥- الحاجات الأخلاقية: ذهب إلى هذه النظرية (اينشتاين) إذ يقول (إن الاحاسيس والانفعالات التي أدت إلى ظهور الدين مختلفة ومتباينة جداً ... أن النزعة الاجتماعية لدى البشر هي أيضاً من اسباب ظهور الدين)[1].

هذه مبررات الماديين لوجود الدين في المجتمعات البشرية من بداية وجودها.

لست في معرض تفنيد هذه المبررات الواهية، بل أثبت المصدر الأول والأساس الذي يدفع الإنسان إلى البحث عن خالق هذا الكون، حتى وإن لم يكن هناك أي مؤثر خارجي يرشده أو يدفعه إلى البحث عن هذا الخالق.

ام هذا الدافع والمحفز كما سيتبين لاحقا أثناء البحث هو الدافع الفطري والغريزي وهو من الخصائص النفسية للإنسان التي تظهر لكل أنسان منذ بداية طفولته إلى نهاية حياته، وهذا الدافع يحرك الإنسان إلى التفكير والتأمل والبحث عن خالق هذا الوجود ومدبر أمره ويبدأ بطرح الأسئلة من قبيل هل هناك وجود لموجود غير مادي (غيب)؟ وهل هناك علاقة بين عالم الغيب والعالم المادي وهل هناك خالق لهذا الكون غير مادي؟ هل يتحدد وجود الإنسان بهذا البدن المادي؟ هل تنحسر حياة الإنسان بهذه الحياة الدنيوية؟ هل هناك حياة اخر؟ هل هناك ارتباط بين الحياة الدنيوية والحياة الاخروية؟ كل هذه الأسئلة تصدر من الإنسان بدافع الفطرة التي خلقها الله تعالى في النفس الإنسانية، إذن مسألة البحث عن المعرفة الإلهية حقيقة توجبها فطرة الإنسان لكن هذا الوجوب يمكن له أن يكون واضحاً بارزاً عند فرد وضعيف عند الآخر بحسب عوامل عدّة تساهم في تقوية أو ضعف هذه الفطرة سوف يذكرها الباحث في مطالب البحث، لكن إجمالا جميع البشر لهم نفس الدافع يرشدهم نحو البحث عن خالق هذا الوجود.

(1) العالم كما اراه، أينشتاين، ص ١٨.

«المبحث الأول»

الفطرة عند الإنسان

المطلب الاول: تعريف المفاهيم

تعريف الفطرة لغة: الفِطرة بالكسر: الخلقة: هي من الفَطْر كالخلقة من الخلق في أنها للحالة ثم أنها جعلت للخلقة القابلة لدين الحق على الخصوص والمعنى كل مولود يولد على معرفة الله تعالى والإقرار به فلا تجعل أحداً إلا وهو يقر بأن له صانعاً وان سماه بغير اسمه او عبد معه غير، فلو ترك عليها لاستمر وانما يعدل عنها لآفة من التظليل كالتهويد والتنصير والتمجيس[1].

وجاءت من مادة فَطْر وتعني في الأصل البَقْر وهو الشق[2] ويقال للنبات الذي يفطر الأرض ويبقرها فُطْر لأنه يبقر الأرض ويخرج منها وقد يطلق حلب الثدي بالأصابع (فطْر) كما أن العجين أذا أختمر وصيرا خبزاً اطلق عليه (فطر)[3].

الفطرة اصطلاحا: تنوعت تعاريف العلماء حول لفظة الفطرة فكانت كلها ذات مضمون واحد وإن اختلف في الفاظها، عرفت:

١- هي الصبغة التي خلق الله الناس عليها ألا وهي الاسلام[4].
٢- الخلقة الإلهية الاولى، والهواية التكوينية نحو حقائق مودعة في روح الإنسان وهو مجبول عليها[5].
٣- البداية التي ابتدأهم الله عليها من الحياة والمون، والسعادة، والشقاء والى ما يصرون إليه عند البلوغ[6].

(1) مجمع البحرين: فخر الدين الطريحي، ص١٠٣، ط١.
(2) لسان العرب: ابن منظور، ص٣٠٥، ج ٣، ص٣٠٥.
(3) كتاب العين: الفراهيدي، ج ٧، ص ٤١٨.
(4) تفسير البطري: محمد بن جرير البطري، ج ٢١، ص ٤ ـ ٤١.
(5) نفحات القران: ناصر مكارم شيرازي، ج١، ص ١٥٠.
(6) تفسير القرطبي: محمد بن احمد القرطبي، ج ١٤، ص ٢٥.

المطلب الثاني: الفطرة أحد طرق المعرفة الالهية

هناك طرق عدّة يمكن بواسطتها معرفة الحقائق الكونية، وقد اختلف في عدد الطرق المعرفية عند الكلام حول (نظرية المعرفة)، وأغلب الدارسين لهذه النظرية عدّوا منها.

١- الحس والتجربة.
٢- العقل.
٣- الفطرة والوجدان.
٤- الكشف والشهود.
٥- الوحي السماوي

إن كل البشر يشعرون بهذا المصدر (الفطرة) في دواخلهم ويدركون الحقائق الكلية من دون حاجة إلى مرشد.

اختلف الفلاسفة في هذا المصدر وذهبوا إلى نظريات عديدة منها:

١- نظرية (افلاطون) إذ يقول: «إن الروح قبل حلولها في البدن ودخولها في عالم المجاز كانت في عالم المعقولات والمجردات اي انها أدركت الحقائق ونسيتها بمجرد دخولها في عالم الكون والفساد، الا انها لم تنمح عنها بالكامل، فالإنسان كالظل والشبح فما هو في (المثل) يتذكره بمجرد الإلتفات إليه، فكسب العِلم والمعرفة تذكِر في الحقيقةِ واذا كان الإنسان جاهلاً منذ البدء فلا يمكنه تحصيل العلم»[1].

نستنتج من قول (افلاطون) إن كل المعلومات عند الإنسان موجودة في باطنه وعند دراسة العلوم وتعلمها يتذكر كل تلك الحقائق التي أودعها الله فيه، وهذا ما يسمى بالمعرفةِ الحضورية وهو تعرّف الإنسان على خالق الكون بواسطة الشهود الباطني من دون توسط المفاهيم الذهنية، أن وجود هذا الشعور لدى الإنسان بشكل واعٍ يغنيه عن الإستدلالات العقليةِ، لكن هذا الشعور لا يمكن أن يتوفر لكل إنسان بحيث يغنيه عن

(1) نفحات القرآن: ناصر مكارم شيرازي، ص٩٨.

الاستعانة بالأدلة العقلية والنقليةِ للتعرف على (واجب الوجود) إلا بعد التخلص من العوامل التي تؤثر على (الفطرة) السليمة. والتي سوف يَتطرق إليها الباحث.

٢- نظرية (فرويد) يقول فيها (الوجدان الأخلاقي) لا يمثل سلوكاً ذاتياً وعميقاً لروح الإنسان، بل إنه رؤية باطنية بسيطةً للنواهي الاجتماعيةِ، ولايوجد في تاريخ المجتمع ولا تاريخ الفرد تطورات بدائية عن حسن الاشياء وقبحها، وقد تولدت هذه التطورات من البيئة الاجتماعية وتشعبت عنها[1].

يعتقد (فرويد) إن الفطرة ويسميها الوجدان الاخلاقي هي مجموعة الافكار والميولات المكبوتة في ضمير الانسان وليس هي معلومات متأصلة في ذات الانسان ويمكن استرجاعها واستذكارها وتحويلها من حقائق الى واقعيات وذهب الى هذا الرأي أصحاب مذهب (الديا لكتيك) إذ فسروا الادراكات الفطرية على انها وليدة الظروف والاوضاع الاقتصادية بحسب مقولتهم المعروفة (كل شيء وليد الظروف والاوضاع الاقتصادية).

٣- نظرية أصحاب الرؤية الكونية الالهية: يؤمن اصحاب هذه النظرية إن هنالك علاقة تكاملية بين عالم الغيب وعالم المادة وعلى هذه الرؤية يعتقدون إن قسماً من هذه المعلومات عند الفرد فطرية والاخر مكتسب، ويعتقدون أن المعلومات المكتسبة ترجع الى المعلومات الفطرية، لأنها تعتبر هي الاساس.

إن المعرفة المكتسبة (الحصولية) هو توصل الانسان من طريق بعض المفاهيم الكلية أمثال (الخالق، الغني، العالم بكل شيء، والقادر على كل شيء...) الى معرفة ذهنية عن الله تعالى ليؤمن بوجود مثل هذا الموجود المتعالي في حدود هذه المعلومات (بأنه خالق الكون) ثم يضيف معلومات حصوليةٍ أخرى، ومن هذا الطريق يتوصل الى نظام عقائدي متناسق، وكل ما يحصل من بحوث واستدلالات عقلية وفلسفية من قبيل هذا العلم المكتسب (الحصولي) الذي يمكن الفرد من الحصول على المعرفة الحضورية الواعية القادرة على الاجابة عن الاسئلة التي يطرحها الانسان على نفسه بواعز من (الفطرة).

(1) المصدر السابق، ص١٥٦.

المطلب الثالث: العوامل المؤثرة على الفطرة الانسانية

هناك عوامل عدَّه تؤثر على الفطرة الانسانية قوة أو ضعف، وهي:

١- عامل الوراثةِ: علم الوراثة يؤكد ان الخصائص الجسمية والعقلية والنفيسة تنتقل من الاب والام والاقرباء الى الفرد عند انعقاد النطفة، سلامة الجسد، والذكاء ومزاج الانسان وصفاته الاخرى من شأنها ان تؤثر على تفكير الانسان واختياره، وقد جاء في الحديث عن الرسول محمدﷺ قوله: «اختاروا لنطفكم فإن العرق دساس» وقولهﷺ: «إياكم وخضراء الدمن قيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن، قال: المرأة الحسناء في منبت السوء»[1].

٢- عامل البيئة: وهي كل ما يحيط بالإنسان من هواء، وغذاء، والحرارة، والرطوبة إذن إن تلوث الهواء ونقاوته وتلوث الماء وعذوبته واعتدال المناخ وأيضاً وجود السكن المريح، وسعة المدنية والمساحات الخضراء فيها كل هذه الظروف تؤثر على فطرة الانسان قوة وضعفاً من حيث استذكار واسترجاع المعلومات المودعة في نفس الانسان

٣- العامل التربوي: وهو من أهم العوامل المؤثرة على فطرة الانسان، ويمكن لهذا العامل ان يؤثر على (الفطرة) أذ يساهم في كبت (الفطرة) وأضعافها إذا توفّر للإنسان عائلةٍ غير صالحة وصديق سوء وبالعكس يمكن تقوية (فطرة) الانسان إذا نشأ وسط مجتمع صالح.

٤- العامل الغيبي: ونعني به الرعاية الالهية التي تتخذ اشكالا متعددة منها التسديد والآراء للواقع الصحيح لمن سار في طريق الله تعالى، قال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ**﴾[2].

(1) العقيدة والأخلاق: حسن النفاخ، ص٢٢.
(2) سورة العنكبوت / ٦٩.

ومنها الابتلاءات التي يمر بها الناس والتي تشدهم بالله تعالى وتذكرهم به، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ** ﴾[1].

ومنها الزمن الذي يولد فيه الانسان وطبيعته، جاء في دعاء الامام الحسين عليه السلام: «فلم ازل ضاعنا من صلب الى رحم في تقادم من الايام الماضية والقرون الخالية لم تخرجني لرأفتك لي ولطفك لي واحسانك الي في دولة ائمة الكفر الذين نقضوا عهدك وكذبوا رسلك ولكنك اخرجتني للذي سبق لي من الهدى الذي يسرتني وفيه انشأتني»[2].

(1) سورة الانعام / ٤٢.

(2) حسن النفاخ: العقيدة والأخلاق، ص٢٣.

« المبحث الثاني »

الأدلة النقلية

المطلب الأول: شواهد على فطرية الايمان بالله

من أجل تدعيم البحث نستعرض شواهد عدَّه من خلالها نثبت أن المعرفة الإلهية والايمان بها معرفة فطرية.

إن المجتمعات البشرية ومنذ أقدم العصور كانت تؤمن بوجود خالق لهذا الكون وتؤمن بمبدأ العلم والقدرة في عالم الوجود ويعبدونه، نعم كانت حالات شاذة ولكن هذا لا يؤثر على القاعدة العامة.

يقرر هذه الحقيقة المؤرخ الغربي (ويل ديورانت) في كتابه (قصة الحضارة) إذ يقول: (فإن الالحاد الديني من الحالات النادرة، وهذا الاعتقاد القديم بأن التدين حالة بشرية عامّة يتطابق مع الحقيقية).

ويقول: (تعتبر هذه القضيّة من القضايا التاريخية والنفسية الاساسية لدى الفيلسوف، فهو لا يقول بأن الاديان مملوءة بالغدر والباطل، بل يلتفت الى هذه الحقيقة وهي أن الدين كان مع التاريخ منذ أقدم العصور[1]، ونقل عنه الشهيد مطهري في كتابه (دروس التاريخ) يقول: (للدين مائة روح، كلمّا تقتله فإنّه يسترجع الحياة مّرة أخرى!)[2].

إن البشر ما قبل التاريخ كانوا يعتقدون بوجود خالق لهذا الكون ويؤمنون بوجود حياة أخرى بعد هذه الحياة؛ لذلك كانوا يدفنون حاجاتهم الشخصية معهم كي

(1) قصة الحضارة: ويل ديورنت، ج١، ص٨٧.
(2) الفطرة: مطهري، ص١٥٣.

يستفادوا منها بعد الموت وكذلك بناء المقابر مثل الاهرامات وتحنيط أجساد الأموات هذا دليل على ايمان ذلك الانسان القديم بالمبدأ والمعاد.

ونجد في دراسات علماء النفس حول الانسان وميوله دليل أخر على فطرية المعرفة الالهية. أذ جاء في كتاب (الحسّ الديني أو البعد الرابع لروح الانسان) جاء فيه الابعاد الاربعة لروح الانسان وتشمل:

١- حب العلم.
٢- حب الجمال.
٣- حب الخبر.
٤- حب الدين[1].

فشل محاولات تذويب الحسّ الديني من قبل الحركات المنحرفة عبر التاريخ لاسيما بعد انتصار الثورة الفرنسية وبداية مرحلة النهضة العلمية في أوربا ونجاحها في فصل الدين عن السياسة وتحرر المحافل العلمية والسياسية من سيطرة الكنسية ورجال الدين، وبروز التيار الملحد ومحاولة أغلب الفلاسفة والعلماء تقويض الاسس الدينية، أذ أصبح الايمان بوجود خالق ومدبر لهذا الكون، والكتب السماوية، والمعجزات ومسألة الحياة الاخرى والمعاد كلها خرافات ولا يمكن الاعتقاد بها، وبرروا اعتقاد القدماء بالدين بعدة عوامل اشرنا اليها في مقدمة البحث ولعب التيار المادي الحديث المتمثل بالماركسية الذي تنكر لكل حقيقة في هذا الوجود الا حقيقة المادة الملموسة ولا يصدق إلا بما ينتجه المذهب المادي التجريبي تنكر هذا المذهب لكل القيم المعنوية والايمان الروحي والوحي والرسالات السماوية ويرفض القيم الاخلاقية وكل مالا يمكن إثباته من خلال التجربة، وجاءت أكثر معادات الاعداء للإسلام، لآنه يعتل المظهر ألحي لأصحاب الرؤية الكونية الالهية التي تؤمن بالغيب بعتباره عالم غير منفصل عن هذا العالم، ويمثل مصدر من مصادر المعرفة إذ جاء في جريدة (كيزيل أوز باخستان) الجريدة اليومية للحزب الشيوعي آنذاك: (من المستحيل تثبيت الشيوعية قبل سحق الاسلام).

(1) الحس الديني أو البعد الرابع لروح الانسان: كورنتايم.

وجاء قبلها الاستشراق الذي اراد النيل من الاسلام، وتشوية العقيدة والتشكيك بها يقول المستشرق الفرنسي (كيمون): (أعتقد أن من الواجب أبادة خمس المسلمين والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة وتدمير الكعبة ووضع قبر محمد وقبته في متحف اللوفر)[1]. ويقول (غلادستون): (ما دام هذا القران موجوداً فلن تستطيع أوربا السيطرة ولا أن تكون هي نفسها في أمان)[2].

بالرغم من كل هذه المحاولات وقبلها ما قامَ به الطغاة والفراعنة وبعدهم المشركون، والمنافقون وفرق الملاحدة والزنادقة في زمن الامويين والعباسيين إلا ان البعد الديني أصبح وجوده متأصلاً عند الانسان وهذا يؤكد وجود الفطرة دليل على المعرفة الالهية.

يقول (أينشتاين): (أن العقيدة والدين موجدان في الجميع دون استثناء... إني اسميه الشعور الديني للخلق).. في هذا الدين يشعر الإنسان الصغير بأمال وأهداف البشرية العظيمة والجلال الكامل خلف هذه القضايا والظواهر، أنه يرى وجوده كسجن، وكأنه يريد التحرر من سجن الجسم ليدرك الوجود كله كحقيقة واحدة)[3].

ويقول (ريليم جينز): (إني أقرّ تماماً بأن القلب هو المصدر للحياة الدينية، كما أقرّ بأن القواعد الفلسفية تشابه موضوعاً مترجماً كتبُ نصّه بلغة أخرى)[4].

ويقول (ماكس مولر): (لقد خضع اسلافنا لله في عصور لم يكونوا قادرين فيها حتى على الاطلاق اسم على الله)[5] وقال: (خلافاً لما تقوله لنظرية الشهيرة بأن الدين ظهر أولاً بعبادة الطبيعة والاشياء والاصنام ثم وصل الى عبادة اله الواحد فلقد أثبت علم الاثار بأن عيادة الله الواحد كانت سائرة منذ أقدم الايام)[6] ويقول (بلوتارك): (لو

(1) العقيدة والاخلاق: حسن النفاح، ص٣٠.
(2) المصدر السابق.
(3) العالم كما أراه: أينشتاين، ص ٥٣.
(4) نفحات القرآن: ناصر مكارم شيرازي، ص ١٥٦.
(5) مقدمة الدعاء: ماكس مولر، ص٣١.
(6) الفطرة: مطهري، ص ١٤٨ .

لاحظتم العالم فإنكم ستجدون أماكن كثيرة لا عمران فيها ولا علم ولا صناعة وسياسة ودولة ولكنكم لا تجدون موضعاً ليس فيه الله)[1].

المطلب الثاني: الفطرة في القرآن الكريم وأحاديث النبي ﷺ

تحدث القرآن الكريم في أيات عدّه عن الفطرة الانسانية، لاسيما عندما يستحدث عن مراتب التوحيد مثل توحيد وجوده وربوبيته، والواهّيته ن وغيرها من المراتب ن تعامل القرآن الكريم مع وجود الله تعالى فقدنه، وعلى هذا تستعرض عدد من الايات لاستبيان ذلك قوله تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[2].

تشير هذه الآية المباركة بأن (الدين هو أمر فطري، تؤكد بأن هذه الفطرة هي من خلق الله، وقد فطر الناس عليها، وانها أمر تكويني متأصل في خلق الانسان وهذا الاصل ثابت وراسخ فيه بدليل قوله تعالى: ﴿ **فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ** ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ** ﴾[4].

تشير هذه الآية المباركة الى حقيقه كامنة في النفس الانسانية وهي إن النفس إذا النفس تعرضت الى صعوبات لا يمكن حلها بالرسائل الطبيعية ن يعود الى فطرته إذ ترشده الى مبدأ العلم والقدرة الذي بيده كل شيء، وعند حل تلك الصعوبات واستجابة الدعاء يعوده الى انكار تلك الحقيقة الساطعة، بسبب ذلك الرين الذي حجب نور المعرفة الالهية عنهم والتي عبر عنها الباحث بـ(العوامل التي تؤثر على فطرة

(1) مقدمة الدعاء: ماكس مولر، ص ٣١.
(2) الروم: ٣٠.
(3) الروم: ٣٠.
(4) الروم: ٣٣.

الانسان) وهناك آيات أخر الى مثل هذا المضمون من قبل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [1].

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [2]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [3]، تشير الآية المباركة الى اعتراف المشتركين بأن خالق السماوات والارض هو الله تعالى وإن هذه المعرفة ناتجة من (الفطرة) وشبيه هذه الآية آيات عدّه منها، قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [4].

وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَن يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [5]، كل هذه الآيات تدل على فطرية التوحيد، ويقول صاحب تفسير (روح البيان في ذيل هذه الآية) (وفي الآية أشاره الى ان جبلة الانسان معرفة الله مركوزه)[6]، وجاءت الآية المباركة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ [7]، تشير الى أن النطفة التي تنتقل من ظهر الاباء الى الارحام الامهات وتبدلت في المراحل الجنينية الى صورة أنسان كامل تدريجياً، وقد اعطا عز وجل في ذلك

(1) العنكبوت: ٦٥.
(2) الزخرف: ٩.
(3) الزخرف: ٨٧.
(4) العنكبوت: ٦٠.
(5) يونس: ٣١.
(6) تفسير روح البيان، ج١، ص ٢٥٣.
(7) الاعراف، ١٧٢.

الحلل القوي والقابليات المختلفة كي تدرك حقيقة التوحيد ومناهج الحق، وقد جعل هذه الفطرة التوحيدية منعمة بوجوده[١].

إضافة الى هذه الآيات المباركة التي تحدثت عن الفطرة جعلت روايات كثيرة من المصادر الاسلامية السنية والشيعية تتحدث عن ذلك منها قول الرسول ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[٢].

وجاء عن زرارة قال: (قلت: جعفر الباقر عليه السلام: أصلحك الله، قال الله عز وجل في كتابه: ﴿فِطْرَتَ اللهَّ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: فطرتهم عن التوحيد عند الميثاق على معرفته انه ربهم قلت: وخاطئة؟ فتخطء رأسه ثم قال لولا ذلك لم يعلم من ربهم ولا من رزقهم[٣].

سأل علاء بن فضيل الامام الصادق عليه السلام عن الآية الكريمة: ﴿فِطْرَتَ اللهَّ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾، فأجاب التوحيد[٤]. عن زرارة عن الامام الباقر عليه السلام حينما سأله عن تفسير الآية: ﴿حُنَفَاءَ للهَّ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾: «أهي الفطرة التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله؟ قال عليه السلام: أفطرهم على المعرفة»[٥].

وهناك روايات كثيرة حول فطرة المعرفة الالهية ويمكن مراجعة مصادر أخرى مثل تفسير البرهان ج٢، ص ٤٦ وما بعدها، مرآة العقول ج٧، ص٥٤، وما بعدها تفسير نور الثقلين ج٤ ن ص١٨١ وما بعدها، تفسير الدر المنشور ج ٣، ص ١٤٢ وما بعدها بحار الانوار ج ٣، ص ٢٧٦ وما بعدها.

(1) نفخات القرآن، مكارم شيرازي، ج٣، ص٨٣.
(2) بحار الانوار، المجلس، ج٣، ص ٢٧٩، حديث ١١.
(3) التوحيد، الصدوق ص ٢٣٠ باب فطرة الله عز وجل الخلق على التوحيد، الحيث ٨.
(4) بحار الانوار، المجلس، ج ٣، ص ٢٧٧، حديث ٤.
(5) بحار الانوار، المجلس، ج ٦٤، ص ١٣٥، حديث ٧.

الخاتمة ونتائج البحث

١- هناك طرق عديدة بواسطتها يمكن للإنسان معرفة الله تعالى ذكرت في الكتب السماوية واحاديث الرسول محمد ﷺ وآل البيت عليهم السلام وذكرتها الكتب الكلامية والفلسفية، أذ ورد عن الامام الكاظم عليه السلام قال: «أن لله على الناس حجتين حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والانبياء والائمة عليهم السلام، وأما الباطنة فالعقول»[1]. وجاء عن أبو حامد الغزالي: (الطريق الى الله بعدد انفاس الخلائق)[2]، وقال ابن عربي: (أن كان لكل شخص طريق تخصه فأن الطرق الى الله تعالى على عدد أنفاس الخلائق يعني أن كل نفس طريق الى الله)[3].

٢- إن هذه الطرق مختلفة أذ يحتاج بعضها الى مقدمات حسية تجريبه، والأخر يحتاج الى مقدمات عقلية والبعض لا يحتاج ذلك أذ ان الانسان صاحب الفطرة السلمية التي لم تتلوث لا يحتاج الى براهين عقلية أو أدلة كلامية.

٣- إن الطريق الميسر لمعرفة الله تعالى هو الطريق الذي يكون مصدره (الفطرة السليمة) لان هذه الفطرة تبين في البحث مخلوقه ومودعه في نفس الانسان ومن مميزاتها أنها عامة وشاملة لكل البشر وتتميز بالاستمرارية والديمومة مع وجود الانسان، أذن بعد أثبتنا ان الفطرة أحد مصادر المعرفة الإلهية وقدمنا الأدلة والشواهد على ذلك ويمكن ان تضعف او تتكامل بحسب توفر العوامل المساعدة على هذا او ذاك.

٤- نوصي جميع المؤسسات العلمية، الدينية، السياسية، الاجتماعية، بتحمل مسؤوليتها أتجاه ذلك؛ لأنه على كل أولئك توفير سبل الهداية لعامة الناس لبناء مجتمع صالح يساهم في بناء بلده ويعكس الصورة الحقيقية والناصعة عن أسلامنا العزيز.

(1) الكافي: الكليلي، ج ١، ص ١٤.
(2) مجموع رسائل الغزالي: أبو حامد الغزالي، ص ٤٩٨.
(3) الفتوحات المكية: أبن عربي، ج ٢، ص ٣١٧.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- ابن منظور، لسان العرب، ج ٣، ص ٣٠، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، لبنان، ٢٠٠٥م.
٢- أبو حامد الغزالي، مجموعة رسائل الغزالي، ص ٤٩٨، ط١، دار الفكر، سوريا.
٣- الفراهيدي، العين، ج ٧، ص ٤١٨، مؤسسة الميلاني للأحياء الفكر الشيعي، طهران.
٤- ابن عربي، الفتوحات المكية، ج ٢، ص ٣١٧.
٥- أينشتاين، العالم كما أراه، ص ١٨، التكوين للطباعة والنشر والتوزيع. ٢٠١٥م.
٦- حسن النفاخ، العقيدة والأخلاق، دار الإسلام للدراسات والنشر، لندن، ١٤١٣هـ.
٧- ناصر مكارم شيرازي، نفحات القرآن، ط ٢، دار النشر الامام علي عليه السلام، إيران، ١٤٢٦هـ.
٨- فخر الدين الطريحي، مجمع البحرين، ص ١٠٣، ط ١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ٢٠٠٩ م.
٩- كورنتايم، الحس الديني او البعد الرابع لروح الانسان.
١٠- محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، ج ٢١، ص ٤٠، دار هجر للطباعة والنشر.
١١- محمد بن احمد القرطبي، تفسير القرطبي، ج ١٤، ص ٢٥، مؤسسة الرسالة
١٢- مطهري، الفطرة، ص ١٥٣، ط ٢، مؤسسة البعثة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢ م.
١٣- ويل ديورانت، قصة الحضارة، ج١، ص ٨٩، دار الجيل للطباعة والنشر، بيروت.